باب الزراعة والاقتصاد

فورد يتكلم : العمل قبل المال

لماذا لا يعتزل العمل وهو على هذا الجانب من الغنى

عظة لرجال المال والاعمال

اعظم المشكلات التي يعانيها ابناء العصر هي المشكلات القائمة على علاقة العمال بأصحاب المال . وفي ذلك نرى فورد نسيج وحده يضرب المثل الابلغ قولا وعملا بأن هذه المسائل يجب الا تكون . فما هي فلسفته المالية والصناعية التي يطبقها في أعماله ؟ اليك جوابه ملخصاً من حديث دار بينه وبين صحافي أميركي

يبقى الرجل في دور المراهقة والتمرس بالعمل حتى يبلغ الاربعين [1] . فهو يجمع في تلك الاثناء الادوات التي لا بدَّ منها للعمل المنتج . ومتى اجتمعت لديه استعملها في تحقيق الغايات التي يقف حياتهُ على تحقيقها . فاذا ترك هذه الادوات بعد جمعها من غير ان يستخدمها فتركه لها هو الفشل بعينه . واذا اعتزل العمل لانهُ جمع ثروة طائلة فاعتزاله امرٌ انواع الفشل على الاطلاق

تقول اني بلغت من النجاح مبلغاً قصيًّا ولكني في الحقيقة لست سوى جامع ادوات للعمل . والرجل الخائب هو الذي يجمع ادواته ثم يودعها خزانة حديدية يوصد بابها ويقف عن العمل . والمال ليس سوى اداة للعمل . ومتى تحول المال عن ان يكون اداة للعمل فقط صار خطراً على المجتمع . ان الثروات الطائلة التي لا تستعمل في الانتاج . . . ولكن لقد قضي على هذه الثروات لان كل ثروة تقف عن الانتاج تبيد وتتلفها ايدٍ تعرف كيف تستعملها فتفيد بها وتستفيد منها

تعطي فتىً طيارة من الورق وتنتظر منهُ ان يطيّرها . او تعطيه رفشاً ومنكاشاً فتنتظر منهُ ان يحرث قطعة من الارض تعيّنها لهُ . ثم تعطيهُ وقد صار رجلاً رفشاً تديرهُ قوة بخارية وتنتظر منهُ ان يشترك مع غيرهِ في حفر نفق لقطار يسير تحت

(١) قارن هذا القول بقول الشاعر العربي

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

الارض . ومتى رأيت انهُ تمرس بالعمل وصار حكيماً محنكاً تقيهُ مديراً على مبلغ كبير من المال وجماعة كبيرة من العمال وتنتظر منهُ ان يدير بناء نفق كبير . انك في كل حال تنتظر منهُ ان ينفق عملهُ مع الادوات التي تسلمهُ اياها ليستخدمها

والعمل الذي أتولاهُ ليس سوى اداة . وهو اكبر اداة من نوعها في التاريخ . فكلما ازداد عمالنا عاملاً واحداً وادواتنا اداة واحدة ازدادت القيمة الملقاة على عواتقنا. ولما كان عملنا الآن قد اتسع عما كان عليهِ قبلاً فعلينا ان نحقق بهِ غاية اكبر من الغايات التي حققناها من قبل . انك ولا شك تذكر ذلك المثل الوارد في الانجيل حين اعطى السيد احد خدمهِ وزنة من المال فطمرها في الارض خوفاً عليها فحكم عليهِ بانهُ لا يستحقها وجرّد منها. ان هذا المثل يشير الى مبداء اساسي ينطبق على احوال العالم الآن كما كان ينطبق منذ الفي سنة ونحن نريد ان نحقق هذا المبدأ في اعمالنا

من القواعد الاساسية التي يقوم عليها عملنا هو ان ما نحسبهُ الآن اجوراً عالية لعمالنا قد يصير في نظرنا ونظرهم اجوراً واطية بعد انقضاء عشر سنوات . ما من احد يعرف الى اية درجة يمكن ان تبلغ اجور العمال كما اننا لا نعرف الى اي حدّ نستطيع ان نخفض نفقات الانتاج . فقد نتمكن من مضاعفة اجورنا وتخفيض اسعارنا الى نصف ما هي عليهِ الآن . وقد نتمكن من زيادة اجورنا اربعة اضعاف وتخفيض نفقات الانتاج في معاملنا الى رُبع ما هي . لا ندري . انما ندري ان الاجور لم تبلغ حدها الاعلى بعد كما ان نفقات الانتاج لم تبلغ مستواها الادنى بعد . وندري ايضاً ان هاتين الحركتين زيادة الاجور وتخفيض نفقات الانتاج لا بدَّ ان تؤولا يوماً ما الى القضاء على الفقر والمسكنة وجميع جيات الاحسان . فلقد وجدنا بالاختبار ان النجاح في العمل ليس وليد العطف بل وليد الاجتهاد . ان المال لا شأن لهُ في زيادة الرخاء لان المال لا يُنتج ما يحتاج اليهِ الناس . بل العمل يفعل ذلك . وزّع كل ما في بلادنا من الاموال على الناس بالتساوي فلا تزداد ثروتنا الاهلية فلساً واحداً ولا نلبث ان نقع في احضان الفاقة اذا اكتفى رجالنا او نساؤنا بما يوزع عليهم واضربوا عن العمل

ولكن ما يكسبهُ العامل من المال مقياس لحقهِ في الاشتراك مع سائر العمال في انتاج ما يحتاج اليهِ الناس . فاذا كان كل الناس يكسبون مالاً ولا ينتجون فما هي فائدة المال ؟ ماذا نشتري بالمال اذا لم تصنع المعامل المصنوعات التي نطلبها او لم تخرج المزارع المواد الغذائية التي نحتاج اليها

وقد تعلمنا ايضاً ان التفوق والاتقان امر نسبي. فالآلة التي نحسبها اتقن آلة صنعت حتى الآن ليست سوى « اتقن آلة » صنعت بالامس بعد ادخال عناصر التحسين عليها . وغداً نرى ان الآلة التي نحسبها اليوم « اتقن الآلات » صارت غير متقنة اذا قيست بآلة الغد . وما يقال في الآلة يقال في الاجور والاسعار . فما يحسب الآن اجراً عالياً للعامل او ثمناً واطئاً للسيارة قد يحسب بعد عشر سنين اجراً واطئاً جداً للعامل وسعراً عالياً جداً للسيارة لان اتقان وسائل الصناعة لا بدّ ان يؤول الى رفع اجور العمال وتخفيض اسعار المصنوعات

لذلك تراانا لا ننظر بعين الفخر الى ما عملناهُ حتى الآن لاننا ننظر اليهِ من وجهة الاتقان النسبي واتقين ان ما يجيء بهِ الغد سيكون اكثر اتقاناً واكمل نظاماً. ولذلك نرقب المستقبل دائماً ونعدّ لهُ العدة لاننا نحسب عملنا امانة في اعناقنا للجمهور يجب ان نتولاهُ لمصلحتهِ بكل ما اوتيناهُ من حذق وعناية . ولذلك اقول اننا وقد صنعنا ١٥ مليون سيارة لانزال في بدء عملنا . اه. وهذا ينطبق على قول مثال مشهور اذ دخل عليهِ احد المشاهير وسألهُ ابن « آيتك في فنك » فنظر اليهِ المثال وعلى شفتيهِ بسمة الازدراء وقال « تمثالي القادم »

محصول القطن في السنة الحاضرة

مساحة المزروع وسير الزراعة

ترددت الاشاعات في اول الصيف الماضي بان الزراع الاميركيين زرعوا حوالي ٤٨ مليون فدان قطناً تخاف منتجو القطن في جميع انحاء العالم ولاسيما في مصر عاقبة هذا التوسع وحسبوا لهُ الف حساب لظنهم ان متوسط ما ينتجهُ الفدان في اميركا لا يقل عادة عن قنطار ونصف قنطار فاذا صادفهُ جو معتدل وسلم من الآفات زاد هذا المتوسط الى قنطارين فاكثر فيأتي المحصول من ١٨ مليون الى ٢٠ مليون بالة فيكون اكبر محصول عرف حتى الآن ويزيد على المقطوعية العالمية ما لا يقل عن ٤ ملايين بالة اذا اضيفت الى المخزون المتخلف من المحصول الماضي وقدرهُ ٥ ١/٤ مليون بالة بلغ المجموع ٩ ١/٤ مليون بالة او نحو ثلثي محصول كامل متوسط في كميتهِ وحينئذٍ تدهور الاسعار حتماً وتعود الى اقل مما كانت عليهِ في سنة ١٩٢٦ لما زاد المحصول الاميركي على ١٨ مليون بالة

وظل متجو القطن مضطربي البال من هذا القبيل وزادهم قلقاً أن حالة زراعة القطن في اميركا سارت سيراً حسناً في ابان نموها فخافوا ان يتحقق ما خشوا منهُ وبينما هم في هذه الحال صدر تقرير وزارة الزراعة الاميركية عن مساحة الزمام المزروع قطناً في بلادها فاذا بهذه المساحة لا تتعدى ٤٦٦٢٢٠٠٠ الف فدان اغفل منها ٣٠٨ في المئة اي ١٧٠٦٨٠٠ فدان فلم يبق سوى ٤٤٩١٥٢٠٠ فدان يجنى المحصول منها . ومن ثم اخذت تسوء حالة الزراعة القطنية في اميركا من كثرة التقلبات الجوية عليها وفتك دودة اللوز وسائر الآفات فيها فانحطت درجة نموها انحطاطاً كبيراً ومرى عن زراع القطن في العالم وفي اميركا نفسها وزالت مخاوفهم واحتفظ القطن باسعاره تقريباً بعد ما كان يخشى ان تدهور تدهوراً كبيراً

هذا في اميركا اما في مصر فقد سارت زراعة القطن سيراً محموداً الى ان ترعرعت شجيراته وازهرت واخذت في العقد وحينئذٍ توالى على القطن السكلاريدس من الآفات ما لم يكد يسبق لهُ مثيل فساءت حاله وانحط محصوله بعد ما كان يبشر باقبال عظيم ولم تسلم زراعة الاصناف الاخرى من القطن بل اصيبت بضرر يذكر ولكنهُ لا يقاس باصابة السكلاريدس ولا باصابة الزاجوراه

وقدرت وزارة الزراعة مساحة الزمام المزروع قطناً في هذه السنة نحو ١٧٢٢٠٠٠ فدان اي بزيادة ٢٢٠٠٠٠ فدان عن المساحة التي زرعت في السنة الماضية وعللت هذه الزيادة باقبال زراع الوجه القبلي على زراعة القطن وتوسعهم فيها غير ان العارفين يرتابون في صحة هذا التعليل ويقولون انهُ يتعذر ان تزيد المساحة في سنة واحدة مثل هذه الزيادة الكبيرة لاسيما ان قانون التلث الذي كان معمولاً بهِ في السنة الماضية نفذ بالدقة في هذه السنة

من اين أتت هذه الزيادة

والمشهور عن زراع القطن الاميركيين انهم يزيدون دائماً في تقدير مساحة ما يزرعونهُ من القطن وما ينتظر ان يجنوهُ منهُ عشرة في المئة واشتهر في الوقت عينه عن زراع القطن في مصر انهم يقللون من ذلك ما يزيدهُ الاميركيون . ومن المعروف ايضاً ان التقارير الرسمية اعتادت ان تنقص مساحة المزروع من القطن في مصر في السنوات الماضية عن حقيقتها للسبب المتقدم ومبالغة في توخي الحيطة . ومن رأي كبار تجار القطن والعارفين بشؤون زراعته في مصر أن محصول الفدان في السنة الماضية كان

أقل كثيراً مما يستخلص من تقدير وزارة الزراعة للمساحة وجملة المحصول وان ولاة الامور في هذه السنة عمدوا الى التدقيق الشديد في تعيين المساحة اكثر مما فعلوا في السنوات الماضية عملاً بالعهد الذي قطعتهُ الحكومة لمؤتمر القطن الدولي الذي عقد في القاهرة

ومن عادة وزارة الزراعة الاميركية ان تصدر عند انتهاء موسم القطن وسواهُ من الحاصلات الزراعية تصحيحاً لارقام المساحة وكمية المحصول وكثيراً مالا يتعدى الفرق بين ارقامها التمهيدية والارقام الختامية المصححة اكثر من ٢ الى ٥ في المئة غير ان وزارة الزراعة المصرية لا تصدر ارقاماً مصححة في نهاية كل موسم قطن ولم تصدر ارقاماً عن مساحة زراعة القطن ومحصولها في السنة الماضية (١٩٢٧ — ١٩٢٨) حتى يتيسر مقابلتها بالمساحة والمحصول الحاليين ومعرفة الفرق بينهما من سنة الى اخرى

المحصول الاميركي

قدرت وزارة الزراعة الاميركية محصول القطن الاميركي في تقريرها التمهيدي في ٩ اغسطس الماضي بنحو ١٤ ٢٩١ ٠٠٠ بالة ثم عادت فقدرتهُ في تقريرها الثاني في ٨ سبتمبر بنحو ١٤ ٤٣٩ ٠٠٠ بالة أي بزيادة ١٤٨ ٠٠٠ بالة عن تقديرها السابق. وعادت فقدرتهُ في ٨ اكتوبر بنحو ١٣ ٩٩٣ ٠٠٠ بالة اي بنقص ٤٤٦ ٠٠٠ بالة

المحصول المصري

وقدرت وزارة الزراعة المصرية في تقريرها التمهيدي محصول القطن في مصر بنحو ٦ ٨٨٩ ٠٠٠ قنطار وايدتها في ذلك ضمناً شركة المحاصيل السمومية في تقريرها الشهري عن حالة الزراعة في شهر سبتمبر الماضي. وقدرهُ محل الخواجات شيكوريل وبارد بنحو ٧ ٣٨٠ ٠٠٠ قنطار غير ان بعض كبار الزراع وفي مقدمتهم البدراوي باشا انكروا صحة تقدير وزارة الزراعة وقالوا ان المحصول لا يتعدى ستة ملايين قنطار. ومن رأي مندوب المقطم التجاري ان المحصول سيجيء حوالي ٦ ½ مليون قنطار

تأثير التقدير في الاسعار

كانت أسعار القطن المصري في بورصة الاسكندرية في ٧ سبتمبر الماضي ٣٦٫٥٩ ريال السكلاريدس لتوفير و ٢٢٫٧٠ ريال الاشموني لاكتوبر وكانت اسعار القطن الاميركي في اليوم عينهِ في بورصة نيويورك ١٩٫٠٥ سنت الليبرة لاكتوبر وفي ٨ منهُ صدر تقرير وزارة الزراعة بوشنطن مقدراً المحصول الاميركي بـ ١٤ ٤٣٩ ٠٠٠ بالة

أي بزيادة ١٤٨٠٠٠ بالة عن تقديرها الاول فأحدث ذلك رجة في اسواق القطن في العالم لم يكد يعهد لها مثيل من قبل

وفي يوم الاثنين هبطت الاسعار في بورصة الاسكندرية ١٤٦ ريال السكلاريدس لنوفمبر و٩٠ بنطاً الاشموني لاكتوبر تبعاً لهبوط الاسعار في بورصة نيويورك اذ هبطت ٨٨ بنطاً لاكتوبر

واخذت الاسعار من ذلك الحين تتقلب وكفة النزول ترجح كفة الصعود كثيراً حتى اقفلت يوم الاربعاء ١٩ سبتمبر في بورصة الاسكندرية ٣٢٨٨ ريال السكلاريدس لنوفمبر و٢٠٤٢٠ ريال الاشموني لاكتوبر وفي بورصة نيويورك ١٧٦٨ لاكتوبر أي ان سعر السكلاريدس هبط ٣٧١ ريال والاشموني ٢٥٠ ريال في حين ان سعر الاميركي لم يهبط سوى ١٣٧ ريال لاكتوبر

هذا ما وقع في بورصتي الاسكندرية ونيويورك أما في بورصة لفربول فكانت اسعار القطن المصري فيها في ٧ سبتمبر ١٨٢٥ لنوفمبر و١٨٣١ لينايرواسعار القطن الاميركي ٩٠٩٨ لاكتوبر و٩٠٨٩ لينايرفلم يحل يوم الخميس ١٨ منه حتى اقفلت بسعر ١٦٤٠ لنوفمبر و١٦٤٧ لينايرفي القطن المصري و٩٠١٠ لاكتوبر و٨٠٩٨ لينايروفي القطن الاميركي أي ان سعر القطن المصري هبط فيها في هذه الفترة ١٨٥ ريال لاكتوبر و١٨٤ ريال لينايرفي حين ان سعر القطن الاميركي لم يهبط سوى ٨٨ بنطاً لاكتوبر و٩١ بنطاً لينايرو في هذا التباين العظيم في هبوط الاسعار في اسواق القطن الكبرى دلالة قاطعة على شدة الضغط على بورصة الاسكندرية وضعف مركز المشتغلين فيها

والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان في هذا المقام هو هل هناك داع حقيقي لهذا الهبوط وهل زيادة ١٤٨٠٠٠ بالة في التقدير الثاني للمحصول الاميركي على تقديره الاول تسوغ حدوث مثل هذه الرجة العظيمة

كان المحصول الاميركي في السنة الماضية حوالي ١٣ مليون بالة والمخزون المتخلف من المحصول السابق والمحصولات التي قبله اكثر من ٧ ملايين بالة ومجموع ذلك ٢٠ مليون بالة او ٢١ مليون بالة تقريباً

والمحصول الاميركي يقدر الآن بنحو ١٤٠٠٠٠٠٠ بالة يضاف اليه المخزون من المحصول السابق والمحصولات التي قبله وقدره نحو ٥ ملايين بالة فيكون مجموعها حوالي ١٩ مليون بالة اي ان الموجود من القطن الاميركي في الموسم الحالي ينقص

عما كان موجوداً منهُ في الموسم الماضي نحو مليون وثلاثة ارباع مليون بالة

وكان محصول القطن المصري في السنة الماضية حوالي ٦٠٨٠٠٠٠ قنطار وكان المخزون المتخلف من المحصول السابق ١٧٨٠٠٠٠ قنطار ومجموع ذلك ٧٨٦٠٠٠٠ قنطار

وهب ان محصولنا الحالي جاء في آخر الامر ٦ ١/٢ مليون قنطار فاذا اضفنا اليه المخزون المتخلف من المحصول الماضي والمحصولات التي قبلهُ وقدرهُ نحو ١١٢٥٠٠٠ قنطار كان مجموعها ٧٦٢٥٠٠٠ قنطار اي ان الموجود من القطن المصري في الموسم الحالي ينقص عن مثله في الموسم الماضي ٢٣٥٠٠٠ قنطار

فهل هذا النقص في الموجود المنتظر من القطن الاميركي والقطن المصري يسوغ مثل هذا التدهور في الاسعار

لو كان الناس يتوقعون ان يكون محصول القطن الاميركي أقل من ١٤ مليون بالة وجاءت وزارة الزراعة الاميركية وقدرتهُ بما يزيد نصف مليون بالة على ذلك لما استغربنا وقوع هذا الهبوط في الاسعار ولكن آراء العارفين كانت كلها مجمعة تقريباً على ان المحصول سيكون بين ١٤ مليون و١٥ مليون بالة بل ان ٧٣ من اكبر المشتغلين في بورصة نيويورك قدروا المحصول بـ ١٤٣١٦٠٠٠ بالة أي ما يقل ١٢٣٠٠٠ بالة عن تقدير وزارة الزراعة لهُ وقدره آخرون باكثر من ذلك الى ١٥ مليون بالة . فالرأي كان مستقراً والحالة هذه على تقدير المحصول باكثر من ١٤ مليون بالة والمؤكد ان المشتغلين في بورصة لفربول لم يفتهموا هذا الامر ايضاً

تعليل هذا الهبوط

والحقيقة ان هذا الهبوط في الاسعار لم يكن ناشئاً من الزيادة اليسيرة في تقدير المحصول الاميركي وانما كان نتيجة النضال القائم بين الصناعة والانتاج او بين اصحاب المغازل والانوال وتجار المصنوعات القطنية وبين زارعي القطن وانصارهم من البنوك والجمعيات التعاونية التي تمد هؤلاء الزراع بالمال اللازم لهم والمضاربون بين هؤلاء واولئك ليسوا سوى مسترزقة يميلون مع الكفة الراجحة . ومما يؤيد ذلك ان الاسعار لم تتأثر تأثراً يذكر عقب صدور التقدير الرسمي الثالث بنقص المحصول نحو ٤٥٠ الف بالة عن التقدير السابق

ولا يبعد ان يقع في موسم القطن الحالي ما وقع في موسم سنة ١٩٢٣ فتهبط الاسعار من كبوتها الحالية وتسترد مستواها السابق ان لم تتجاوزه